

الفصل الخامس

علاقة الصهيونية بالمسيحية

موضوع علاقة الصهيونية بالمسيحية موضوع خلافى ومركب، متعدد الأبعاد، يحتاج إلى كثير من التأمل وإعادة النظر فى المصطلحات وما تخفيه من مفاهيم، فهو ليس بموضوع دينى محض، وإنما له بُعد سياسى. ولذا نجد أن بعضاً ممن له مصلحة يقوم بلىّ عنق المصطلحات ليفرض عليها مفاهيم معينة حتى يمكنه توظيفها لصالحه. وهذا ما فعله الصهاينة وأنصارهم. ومع الأسف هناك فى العالم العربى من ينقل ما يرد لنا من مصطلحات، ثم يرددها ببغائية مذهلة، دون أن يدرك عملية التشويه التى تمت، والتى لا تخدم إلا صالح أعداء الوطن والأمة.

وقد اخترقت مثل هذه المصطلحات الخطاب التحليلى العربى. خذ على سبيل المثال مصطلحاً مثل «الحروب الصليبية»، هذه ترجمة للكلمة العربية (الإنجليزية) crusade نسبة إلى cross ، أى الصليب. وهى تعنى أن الحملات الصليبية كانت حملات مسيحية، بينما يعرف أى دارس لهذه الواقعة التاريخية أنها كانت حملات استعمارية حتى الفخاع والمسيحية بريئة منها. وقد أدرك المؤرخون العرب والمسلمون المعاصرون لهذه الحملات طبيعتها الاستعمارية الاستيطانية، ولذلك كانوا يسمونها

«حروب الفرنجة» نسبة إلى غالبية العنصر البشرى الذى قام بالغزو والسلب والنهب (الذى أتى أساساً من بلاد الفرنك، أى فرنسا). وهو غزو وسلب ونهب لم يكن يُفَرَّق بين المسلم والمسيحى واليهودى، ولذا قامت بعض هذه الحملات التى يقال لها «صليبية» بسلب بيزنطة عاصمة المسيحية الشرقية، بل يقال إن هذه الحملات أنهكت قوى الإمبراطورية الرومانية الشرقية، الأمر الذى جعل سقوطها فى يد العثمانيين فيما بعد أمراً يسيراً. وفى عصرنا الحديث، بدلاً من استخدام المصطلح العربى القديم الدقيق، الدال على طبيعة الظاهرة، قمنا بترجمة المصطلح الغربى، الذى يحاول إخفاءها وتعميتها.

وإذا كان هذا هو الحال مع مصطلحات واضحة البراءة مثل «الحروب الصليبية» و «المسألة اليهودية» فما بالك بمصطلحات مثل «التراث اليهودى المسيحى» و «الصهيونية المسيحية» اللذين شاع استخدامهما فى الآونة الأخيرة. وهما مصطلحان يفهم منهما أن ثمة علاقة قوية، بل عضوية، بين اليهودية والمسيحية وبين المسيحية والصهيونية. وقد بلغ المصطلحان من الذبوع أن كثيراً من الناس يتقبلونهما وما يعبران عنهما من مفاهيم، باعتبار أنهما من البديهيات. ولكن الرؤية المتفحصة لهذين المصطلحين تبين أن علاقتهما بالواقع واهية لأقصى حد، وأنهما مصطلحان «أيدىولوجيان» بمعنى أنهما لهما مضمون فكرى متحيز لأيدىولوجيات بعينها (الإمبريالية والصهيونية).

التراث اليهودى المسيحى؟

وأنا أذهب إلى أنه يوجد عنصر أخلاقى مشترك بين الديانات الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام (يصلح أساساً لعقد اجتماعى جديد). ولكن إلى جانب نقط الاتفاق الأخلاقية توجد نقط اختلاف، بعضها جوهرى، فى رقعة أصول الدين أو لاهوته. ومصطلح «التراث اليهودى المسيحى» يتجاهل مثل هذه الاختلافات، فهو يفترض أن اليهودية والمسيحية يكونان كلاً واحداً. وهو ادعاء له ما يسانده بشكل جزئى داخل النسق الدينى المسيحى ولكنه لا يعبر بأية حال عن الصورة الكلية إذ أنه يتجاهل حقائق دينية أساسية. فهناك الاختلافات الأساسية الواضحة بخصوص طبيعة الإله وعلاقته بالبشر. كما يختلف موقف اليهودية والمسيحية من الخطيئة بشكل جوهرى، فالمسيحية تؤمن بأن الإنسان ساقط بسبب الخطيئة الأولى. أما اليهودية، فلا تؤمن بالخطيئة الأولى. ولذا فإن أداء الشعائر، واتباع الأوامر والنواهي، فى السياق اليهودى، كافيان لخلاص الإنسان. أما فى المسيحية (الكاثوليكية على الأقل) لا بد من قيام الكنيسة والكهنوت بعملية الوساطة حتى يتم الخلاص، فلا خلاص خارج الكنيسة.

وثمة خلافات بين العقيدتين حول فكرة المسيح، فبينما ترى اليهودية المسيح باعتباره شخصية سياسية قومية سيقود شعبه إلى صهيون ويعيد بناء الهيكل ويؤسس المملكة اليهودية مرة أخرى، فإن المسيح فى المسيحية إله/إنسان مهمته خلاص كل البشرية لا الشعب اليهودى

وحسب. (ولذا فتحن فى كتاباتنا عن الصهيونية واليهودية نشير إلى المسيح المخلص اليهودى بكلمة «المائثيح»، أى نستخدم المنطوق العبرى حتى نفرق بين النسقين الدينيين).

وتعد قضية صلب المسيح قضية أساسية ونقطة خلاف رئيسية. فمن المعروف أن كل أمة أو مجموعة عرقية أو دينية تؤمن بأنها مدينة بوجودها لشكل من أشكال التضحية والفداء الرمزية أو الفعلى الذى يكتسب مكانة رمزية ويصبح بمثابة الركيزة النهائية للنسق ولحظة التأسيس. وحادثة الصلب فى المسيحية هى هذه اللحظة، حين نزل ابن الإله إلى الأرض وارتضى لنفسه أن يُصلب، وكان فعله هذا الفداء الأكبر. ولحظة الصلب هذه ليست لحظة زمنية، رغم حدوثها فى الزمان، ولا ترتبط بفترة تاريخية معينة رغم وقوعها فى التاريخ، فهى كونية. وفى احتفالات الجمعة الحزينة يحاول المسيحي المؤمن أن يستعيد آلام المسيح، هذه الواقعة الكونية التى لا يمكن أن تنافس واقعة أخرى. واليهود عنصر أساسى فى حادثة الصلب، فكهنتم وحاخاماتهم هم الذين حاكموا المسيح وهم الذين أصروا على صلبه، فهم قتلة الرب، الذين يقتلونهم دائماً، بإنكارهم إياه.

ورغم المحاولات العديدة، المسيحية واليهودية، لتغيير هذه البنية الرمزية للوجدان المسيحى، فإن مثل هذه المحاولات لا تكفل بالنجاح نظراً لأن العجال الرمزية يتم بقدر من الثبات ولا يخضع بسهولة للأهواء

والتيارات السياسية المتغيرة. ولذا فكثيراً ما تنشعب الصراعات فجأة وبلا مقدمات حين يقوم بعض المسيحيين بتمثيل بعض المسرحيات الدينية التي تبرز الرموز المسيحية وتسقط على اليهودى دور قاتل الرب. وقد نشب صراع حول أوشفيتس كان فى جوهره صراعاً حول الرموز ومعناها. فحادثة الإبادة (الهولوكوست)، أصبحت فى الوجدان اليهودى لا تختلف كثيراً عن حادثة الصلب فى الوجدان المسيحى. ولذا حين أقامت بعض الراهبات الكرمليات ديراً فى هذا المعتقل لإقامة الصلاة على الضحايا من أى عرق أو دين أو جنسية اعترض ممثلو أعضاء الجماعات اليهودية، لأن هذا يعنى فرض لحظة الصلب المسيحية، على لحظة الصلب اليهودية!

وثمة رأى داخل المسيحية يقول بأن العهد الجديد لم ينسخ العهد القديم، ولكنه مع هذا حل محله وتجاوزه. ومع أن الكنيسة لم تستبعد العهد القديم، فإن الإيمان المسيحى يستند إلى أن الشريعة (أو القانون) قد تحققت من خلال المسيح وتم تجاؤها، وأن الرحمة الإلهية والإيمان بالمسيح وسيلة للخلاص حلت محل الشريعة والأوامر والنواهى، ومن ثم كان رفض الشعائر الخاصة بالطعام والختان التى تمسك بها اليهود. وقد ذهب المسيحيون إلى أن اليهودية دين الظاهر والتفسير الحرفى دون إدراك المعنى الداخلى أو الباطن، وأن الكنيسة هى إسرائيل فىروس، أى إسرائيل الحقيقية، وأنها إسرائيل الروحية، أما اليهود فهم إسرائيل الزائفة الجسدية التى لا تدرك مغزى رسالتها. وبالتالى، فقد اليهود

دورهم، وأصبحت اليهودية ديانة متدنية بالنسبة إلى المسيحيين. ووُصِفَ اليهود بأنهم شعب يحمل كتبًا ذكية ولكنه لا يفقه معنى ما يحمل. لكل هذا، أعادت الكنيسة تفسير العهد القديم بحيث اكتسب مدلولاً جديداً مختلفاً تماماً عن مدلوله عند اليهود الذين استمروا في شرحه وتفسيره على طريقتهم، وفهمه فهماً حرفياً وحلولياً وقومياً. ومن ثم اختلف النسق الدينى اليهودى عن النسق لدينى المسيحى. ومن أهم أشكال الاختلاف أن المسيحية أصبحت ديناً عالمياً، باب الهداية فيه مفتوح للجميع، على عكس اليهودية التى ظلت ديناً حلولياً مغلقاً مقصوراً على شعب أو عرق بعينه يظل وحده موضع الحلول الإلهى. ثم تعمق الاختلاف بحيث أصبحت للمسيحيين رؤية مختلفة تماماً عن رؤية اليهودية.

وقد تبدى كل هذا فى شكل صراع تاريخى حقيقى، فقد رفض اليهود المسيح (عىسى بن مريم) ولا يزالون يرفضونه. ويلوم الآباء المسيحيون الأوائل اليهود باعتبارهم مسئولين عما حاق بالمسيحيين الأولين من اضطهاد، وأنهم هم الذين كانوا يهيجون الرومان ضد المسيحيين ويلعنون المسيحيين فى المعابد اليهودية، وأنهم هم المسئولون فى نهاية الأمر عن صلب المسيح. وهم يرون أن هدم الهيكل وتشقيتهم هو العقاب الإلهى الذى حاق بهم على ما اترفوه من ذنوب (وتشكّل معاداة اليهود، باعتبارهم قتلة الرب، جزءاً أساسياً وجوهرياً من التراث الفنى الدينى المسيحى من موسيقى ورسوم ومسرحيات).

وقد استمر الصراع إلى أن تغلبت المسيحية فى نهاية الأمر على اليهودية، وانتشرت بين جماهير الإمبراطورية الرومانية. واستمر من تَبَقَى من اليهود فى الإيمان باليهودية ويعبِّرون عن رأيهم، فى كتب مثل التلمود والقَبَّالاه، يتحدثون عن المسيح والمسيحيين بنبرة سلبية وعنصرية للغاية.

وقد تحدد موقف الكنيسة (الكاثوليكية) من اليهود فى مفهوم الشعب الشاهد، وهو أن اليهود هم الشعب الذى أنكر المسيح الذى أرسل إليهم، وهم لهذا قد تشتتوا عقاباً لهم على ما اقترفوه من ذنوب. ولكن رفض اليهود للمسيح سر من الأسرار، فاليهود فى ضعفهم وذلتهم وتشردهم يقفون شاهداً على عظمة الكنيسة، أى أن اليهود بعنادهم تحولوا إلى أداة لنشر المسيحية.

ومن ثم يمكننا أن نقول: إن العلاقة بين اليهودية والمسيحية علاقة عدائية متوقرة إلى أقصى حد، واستخدام مصطلح «القرات اليهودى المسيحى» فيه محاولة لطمس معالم ونقط الاختلاف الجوهرية بين العقيدتين حتى يمكن زيادة الدعم الغربى للدولة اليهودية، والحصول على رضا الجماهير الغربية على هذا الدعم الذى يتنافى مع القيم المسيحية والأخلاقية الإنسانية.

الصهيونية المسيحية

والمصطلح الثانى الذى نود تناوله هو مصطلح «الصهيونية المسيحية»، الذى انتشر فى اللغات الأوروبية وتسلل منها إلى اللغة العربية. هذا

المصطلح يضيف على الصهيونية صبغة عالمية تربطها بالمسيحية ككل، وهو أمر مخالف تماماً للواقع، إذ ليس هناك صهيونية مسيحية في الشرق. بل إن أوائل المعادين للصهيونية بين عرب فلسطين كانوا من العرب المسيحيين، وأول مفكر عربي تنبأ بأبعاد الصراع العربي - الصهيوني وبمدى عمقه هو المفكر المسيحي (اللبناني الأصل الفلسطيني الإقامة) نجيب عازوري. كما أن الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية تعارضان الصهيونية على أساس عقائدي ديني مسيحي. وإن حدث تقارب ما (كما هو الحال مع القاتيكان)، فإن ذلك يتم مع دولة إسرائيل ولا اعتبارات عملية خارجة عن الإطار الديني العقائدي إلى حد كبير. وهناك في الغرب المسيحي البروتستانتى عشرات من المفكرين المسيحيين الذين يرفضون الصهيونية على أساس ديني مسيحي أيضاً. ولذا، فإن مصطلح «الصهيونية المسيحية» غير علمي نظراً لعموميته ومطلقيته. ومن هنا يجب الحديث عن «الصهيونية ذات الديباجة المسيحية»، فهي صهيونية غير مسيحية بأية حال، بل صهيونية استمدت ديباجتها (عن طريق الحذف والانتقاء) من التراث المسيحي دون الالتزام بهذا التراث بكل قيمه وأبعاده، ودون استعداد منها لأن يُحكّم عليها من منظوره الأخلاقي. وفي تصوّرنا أن هذا هو الفارق بين أية عقيدة دينية وأية عقيدة علمانية، فالمؤمن بعقيدة دينية يؤمن بمجموعة من القيم المطلقة المتجاوزة لإرادته (فهى ليست من إبداعه ولا من إبداع غيره من البشر)، ومن ثم يمكن تقييمه وتقييم سلوكه من منظور هذه القيم. أما العقيدة العلمانية، فهى

مجموعة من القيم النسبية المتغيرة، ولا يمكن أن يُحاكم الإنسان العلماني من منظورها إذ بوسع أن يرفضها ويتنكر لها ويعدلها بما يتفق مع مواقفه المتغيرة واحتياجاته المتطورة وأهوائه المتجددة ورغباته التي لا تنتهي. ولذلك فإن المسيحيين الذين يقومون بتعديل عقيدتهم لتتفق مع رؤيتهم ومصالحهم السياسية، يقومون بتطويع العقيدة الدينية لأهوائهم السياسية.

وتستند الصهيونية المسيحية إلى العقيدة الألفية الاسترجاعية التي تعود جذورها إلى اليهودية وإلى كثير من العقائد الشعبية، ولكنها مع هذا أصبحت فكرة مركزية في المسيحية البروتستانتية. إذ يؤمن كثير من المسيحيين البروتستانت بأنه حينما يعود المسيح المخلص (الذي يُشار إليه بأنه «الملك الألفي») سيحكم العالم (باعتباره الملك المقدس) هو والقديسون لمدة ألف عام يُشار إليها أحياناً باسم «أيام المسيح» أو «الألف السعيدة»، وهي فترة سيسود فيها السلام والعدل في عالم التاريخ والطبيعة وفي مجتمع الإنسان والحيوان.

وكما تبدأ الألف السعيدة، لابد أن يتم استرجاع اليهود إلى فلسطين تمهيداً لبعث المسيح. ومن هنا، فإن العقيدة الاسترجاعية هي مركز وعصب العقيدة الألفية. ويرى الاسترجاعيون أن عودة اليهود إلى فلسطين هي بشرى ألف العام السعيدة، وأن الفردوس الأرضي الألفي لن يتحقق إلا بهذه العودة. كما يرون أن اليهود هم شعب الله المختار القديم أو الأول (باعتبار أن المسيحيين هم شعب الله المختار الجديد أو الثاني). ولذا، فإن أرض فلسطين هي أرضهم التي وعدهم الإله بها، وعود الرب لا تسقط

حتى وإن خرج الشعب القديم عن الطريق ورفض المسيح (وصلبه). ولذا، فإن كل من يقف في وجه هذه العودة يُعتبر من أعداء الإله ويقف ضد الخلاص المسيحي، فأعداء اليهود هم أعداء الإله.

ويلاحظ هنا أن الفكر الحلوي المسيحي - شأنه شأن الفكر الحلوي اليهودي - يجعل اختيار الإله لليهود ليس منوطاً بفعلهم الخير وتحاشيهم الشر، فهي مسألة عضوية حتمية تتجاوز الخير والشر. كما أنه جعل الخلاص مسألة مرتبطة باليهود، ومنح اليهود مركزية في رؤيا الخلاص.

ومن الواضح أن العقيدة الاسترجاعية، شأنها شأن العقيدة الألفية، تفترض استمراراً كاملاً ووحدة عضوية بين اليهود في الماضي والحاضر والمستقبل، ومن ثم فهي تنكر التاريخ تماماً. ولكن هذا «التقديس» لليهود يُضمر كرهاً عميقاً لهم ورفضاً شاملاً لهم ولوجودهم، ذلك أن بنية العقيدة الاسترجاعية هي نفسها بنية فكرة الشعب العضوي المنبؤ، أي أن اليهود، شعب مختار، متماسك عضوياً، يرفض الاندماج في الشعوب الأخرى، ولذا لا بد من نبذه ونقله إلى مكان آخر! ويمكن أن نلخص هذا الكره وذلك الرفض في العناصر التالية:

١ - يذهب الاسترجاعيون إلى أن اليهود أنكروا المسيح وصلبوه، وأن عملية استرجاعهم إن هي إلا جزء من عملية تصحيح لهذا الخلل التاريخي وجزء من عملية تطهيرهم من آثامهم. فاليهود ليسوا مركز الخلاص بل هم مركز الخلل وسببه. والواقع أنهم إذا كانوا مركز الخلاص

فهذا يعود إلى أنهم بإنكارهم المسيح أصبحوا مركز الخلل وسببه الأساسي وتجسيد للشر في التاريخ. والخلاص لا يمكن أن يتم إلا بتطهير مركز الخطيئة (تنصير اليهود أو إبادتهم). ولعل هذا التركيز على أن اليهود أصل الخطيئة يُفسَّر لأن المسيح الدجال (الذى سيكون ظهوره هو أقصى درجات الشر) سيكون يهودياً (من سوريا)، وأنه هو الذى سيقود ملوك الأرض ضد المسيح فى المعركة الأخيرة (هرمجدون).

٢ - تذهب العقائد الألفية والاسترجاعية إلى أن عملية الخلاص النهائى ستصاحبها معارك ومذابح تصل ذروتها فى معركة واحدة أخيرة (هرمجدون)، وهى معارك سيروح ضحيتها ثلثا يهود العالم وستخرب أورشليم (القدس). بل إنه كلما ازداد العنف ازدادت لحظة النهاية اقتراباً، فكان التعجيل بالنهاية لا يتم هنا من خلال فعل أخلاقى يقوم به المسيحيون وإنما من خلال تقديم قربان مادى جسدى للإله (هولوكوست) يُشَوِّى بأكمله. بل إن أبعاد هذه المذبحة ستكون أوسع مدى من المحرقة النازية، فكان العقيدة الاسترجاعية هى عكس العقيدة المسيحية. ففى العقيدة المسيحية، يأتى المسيح وَيَنْزِفُ دمه وَيُصَلِّبُ وَيُهْرَمُ، فهو قربان يُقدِّمه الإله فداءً للبشر بأسرهم، قربان لا حاجة بعده إلى قرابين. أما العقيدة الاسترجاعية فتذهب إلى أن المسيح قائد عسكري يدخل المعارك ويثخن فى الأعداء ثم ينتصر. واليهود هم الذين سينزفون، وهم قربان للرب الذى لا حاجة بعده إلى قرابين، ولذلك فإن ذبحهم (أو صلبهم) يشير إلى النهاية الألفية السعيدة. كما أن اليهود، حسب الرؤية

المسيحية التقليدية، كانوا دعاة القومية، على حين أن المسيح هو داعية العالمية. أما هنا، فإن العكس هو الصحيح، فاليهود هم مركز خلاص العالم والمسيح هو القائد القومي الذي سيؤسس مملكته في صهيون.

٣ - انتهت حياة المسيح الأولى بإنكار اليهود له وصلبه، أما حياته الثانية فستنتهى بإعلان انتصاره وبالتدخل في آخر لحظة لإنقاذ البقية الباقية من اليهود (واعادتهم إلى أرضهم)، فيخر اليهود أمام المسيح ويعترفون بألوهيته ويقابلونه باعتباره الماشيخ المنتظر ويتحولون إلى دعاة تبشير بالمسيحية ينشرون الإنجيل في العالم، أي أن المسيح سينجح في إقناع اليهود بما فشل في إقناعهم به أول مرة. وحينما يحدث ذلك، تكون قد اكتملت الدائرة وتمت هداية العالم بأسره.

٤ - العقيدة الاسترجاعية عقيدة تُحوّل اليهود تمامًا، أي تُحوّلهم إلى وسيلة أو أداة نافعة وأساسية لخلاص المسيحيين ولكنها لا قيمة لها في حد ذاتها، فهم يستمدون قيمتهم من مقدار أدائهم لوظائفهم ومقدار تعجيلهم بعملية الخلاص المسيحية.

والعقيدة الألفية الاسترجاعية ترفض التفسير المجازي للعهد القديم والجديد وأن ما أتى فيهما هي نبوءات حرفية عن المستقبل. فيرى الألفيون، على سبيل المثال، أن العبارات التي وردت عن خراب أورشليم (القدس) تشير إلى حروب عام ١٩٦٧ أو عام ١٩٤٨. أما الرؤية المسيحية التقليدية، فتذهب إلى أنها تحققت بالفعل عام ٧٠ ميلادية على يد تيتوس.

ويقوم هؤلاء الاسترجاعيون - كما أسلفنا - بحوسلة إسرائيل بشكل حاد. وعلى سبيل المثال، فإن تيرى ريزنهوفر (المليونير الأصولي الأمريكي الذي يقوم بتمويل عملية إعادة بناء الهيكل) يرى أن السلام بين إسرائيل وجيرانها مسألة مستحيلة. وبصفة عامة، فإن الرؤية الاسترجاعية ترى أن هرمدون نبوءة حتمية لا بد أن تتحقق. بل ويرى الاسترجاعيون ضرورة تحريك الأمور باتجاه الحرب لإضرام الصراع والتعجيل بالنهاية (ولذا، فإن موقفهم من مفاوضات السلام أكثر تشدداً من موقف أكثر صقور إسرائيل تشدداً). ولا يختلف الأمر كثيراً بشأن حدود أرض الميعاد، فهذه الحدود مُعطى ثابت مقدس لا يمكن التفاوض بشأنه. كما أن حدود إسرائيل التي يتخيلها الاسترجاعيون أكثر اتساعاً من حدود إسرائيل الكبرى التي يتخيلها أكثر الصهاينة تطرفاً. فحدودها، حسب الرؤية الاسترجاعية، تضم الأردن وأجزاء من مصر ولبنان ومعظم سوريا (وضمنها دمشق)، أي أن الاسترجاعيين يرون ضرورة سفك الدم اليهودي تحقيقاً لرؤيتهم لنبوءات الكتاب المقدس.

لكل هذا نجد أن يهود أمريكا لا يرحبون كثيراً بهذه الصهيونية التي تدعى المسيحية (والتي تطالب بنقلهم إلى إسرائيل ووضعهم في حالة حرب دائمة). هذا على عكس الدولة الصهيونية التي تجد أن هؤلاء الصهاينة الذين يستخدمون الديباجات المسيحية يكوّنون لوبى صهيونى قوى يعيش فى صلب المجتمع الأمريكى. إن القضية مركبة ومتداخلة إلى أقصى حد، ومع هذا نجد فى عالمنا العربى من يتحدث عن «الصهيونية

المسيحية» وكأنها بالفعل «مسيحية»، وليست حركة حرفية تُخضع النص المقدس لأهوائها، وتستخدم ديباجات مسيحية لتخبئة المضمون المياسى الاستعماري العلماني.

التفسيرات الحرفية

والنص المقدس - فى تصورى - نص مجازى توليدى، لا يمكن فهمه إلا بإدراك طبيعته المجازية، فهو نص يشير إلى الدنيا والآخرة، عالم الشهادة وعالم الغيب، عالم الحواس وما وراء الحواس، فهو نص ثنائى وليس واحدى. أما النص العلماني فهو نص دقيق ترتبط الدوال فيه بمدلولات حسية أو مادية، فهو نص يشير إلى الدنيا وعالم الحواس والمادة وحسب. فالفرق بين النص المقدس والنص العلماني هو مثل الفرق بين الشعر (الذى يتعامل مع ظاهرة الإنسان) والمعادلة الجبرية (التي تتعامل مع عالم الأرقام الذى لا يعرف الضحك أو البكاء). فالمعادلة الجبرية قد تتم بالدقة، ولكنها الدقة التي تستبعد الإنسان. ويجدر بنا أن نُفرق بين الحرفية والأصولية (وهذان مصطلحان آخران يتم الخلط بينهما). فالأصولية هي رفض لكثير من الممارسات الدينية وبعض تفسيرات الكتاب المقدس التي تراكمت عبر العصور ودعوة للعودة لأصول الدين ومحاولة تفسيرها تفسيراً جديداً وتوليد معان جديدة منها تتلاءم مع الزمان والمكان اللذين يوجد فيهما المفسر «الأصولي». وهو رغم رفضه لبعض التفاسير الموروثة، لا يلجأ إلى التفسير الحرفي، إلا إذا كان النص المقدس يتطلب ذلك. كما أن «الأصولي» لا يجتزئ من النص المقدس مقطعاً ينتزعه من

سياقه ثم يفرض عليه أى معنى حرفى قد يروق له (ويتفق مع مصلحته)، بل يفسر فى إطار ما يتصوره المنظومة الدينية الكلية، وفى إطار النص المقدس فى شموله وكليته وتركيبته. وهذا ما فعله كثير من المفكرين الإصلاحيين سواء فى المسيحية أم الإسلام أم اليهودية.

أما فى إطار الحرفية، فيقوم المفسر بتفتيت النص المقدس ثم يفرض عليه ما يشاء من معنى، وهو معنى لا يتجاوز ما فى عالم المادة من أحداث مباشرة. وقد أحرزت التفسيرات الحرفية ذيوغاً فى الأوساط الشعبية لأن الشخص العادى (خاصةً فى العصر الحديث بعد عزله عن تراثه وتاريخه) يريد أن يشعر ويدرك بحواسه الخمسة ويفضل الدقة والتحدد على التركيب والإبهام (أى أنه يفضل المعادلة الجبرية على الشعر). ولذا فإنه يريد حين يفتح الكتاب المقدس أن يعرف المقابل المادى لما جاء فيه.

والصهيونية المسيحية، شأنها شأن الصهيونية ذات الديباجات اليهودية، تدور فى إطار الحرفية، وهى أيضاً تلوى عنق النص المقدس وتوظفه لصالحها. فجيرى فالويل، الواعظ المشهور بتأييده لإسرائيل، يذهب إلى أن كتاب حزقيال يشير إلى أرض معادية للماشيح هى «روش»، وهى أرض بها مدينتان هما «ميشيمن وتوبال»، وتصبح روش «روسيا» وتصبح ميشمن «موسكو» وتوبال «تبولسك». وستقوم روش بغزو إسرائيل ونهبها (حسب سفر حزقيال)، ولذا فإن فالويل يفسر هذا بأن روسيا ستقوم بغزو إسرائيل للحصول على الغنائم (أطلق فالويل هذه النبوءات

قبل سقوط الاتحاد السوفيتي، فهل يا ترى لا يزال متمسكاً بها، أم أنه سيُطلق نبوءات من نوع آخر؟). وكلمة «النهب» يقابلها في الإنجليزية كلمة «سبويل spoil»، فإن حذفنا أول حرفين فإنها تصبح «أويل oil»، أي البترول، وهنا تصبح الأمور شديدة البساطة ويمكن تحويل الكتاب المقدس إلى دعوة لغزو مصادر البترول والاستيلاء عليها.